

سورة عبس والعابس عثمان بن عفان

د. عبد الرحمن محمد يدي النور

سورة عبس والعابس عثمان بن عفان

بعد أن فشل اقطاب السقيفة والكهنوت في تحريف القرآن، وقد بذلوا جهداً كبيراً في سبيل تحقيق ذلك من خلال مفبركات مثل ما تسمى زوراً وبهتاناً بآيات الرجم وآيات رضاع الكبير، فقد دأب الكهنوت السقيفي على التخرُّص في مساحات المعنى والتفسير القرآني والذي يستطيع الكهنوت التخرُّص فيها إما ليخلق لأصنامه مجداً مزيفاً ومفبركاً أو أن يشين صورة الأنبياء والمعصومين. فعلى سبيل المثال، فقد حاول الكهنوت السقيفي أن يختلق معاني وتفسيرات للقرآن في بعض المواضع التي شعر فيها أنه يستطيع أن يتلاعب في معنى الآيات القرآنية ويعطي تفسيراً من عنده ليبعد الفضائل عن اهل البيت عليهم السلام كما حاول ان يفعل في معنى سورة الكوثر والتي ادعى فيها كذباً وزوراً وتخرصاً أن الكوثر نهر في الجنة بينما في الحقيقة ووفقاً لسياق الآية القرآنية فإن الكوثر هي السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام والذي من خلالها يتواصل النسل النبوي إلى يوم القيامة في مقابل النسل المبتور للعاص بن وائل السهمي الذي لا يدعي شخص الآن أنه ينتمي إلى للعاص بن وائل السهمي. كما حاول الكهنوت السقيفي أن يستغل آيات الغار ويختلق لابن ابي قحافة مجداً زائفاً وكاذباً بادعاء أنه كان رفيق النبي ص وآله في الغار رغم أن القرآن لم يصرِّح بذلك بل ولم يذكر النبي ص وآله ذلك أبداً. حيث يتغاضى الكهنوت عن حقيقة أنه كان هناك دليلاً مشركاً مع النبي ص وآله في الغار ولم يذكر القرآن سوى شخصين أحدها هو النبي ص وآله وأن ذلك الشخص الآخر قد حرَمه الله تعالى من السكينة لأنه لم يكن مؤمناً

ومعروف قرآنياً أن السكينة تنزل على النبي ص وآله والمؤمنين فقط ولم يُدرك الكهنوت السقيفي بسبب غباءه المركّب أن مقام صنمه القحافي سيؤتى من ثغرة عدم نزول السكينة عليه لأنه كان منافقاً أو كافرا. حيث حاول الكهنوت التلاعب على مساحات المعنى في القرآن وتفسير آية الغار وفقاً لهواه والادعاء كذباً وزوراً أن من كان مع النبي ص وآله في الغار هو ابوبكر بينما كُتُب التراث نفسها توضِّح أن ابوبكر جاء في اليوم التالي لهجرة النبي ص وآله إلى الامام علي عليه السلام مستفسراً عن النبي ص وآله. وإذا قبلنا جدلاً أو تنزلا بأن ذلك الصاحب كان ابوبكر بن ابي قحافة فإن الله تعالى قد حرَمه من السكينة في وقت كان هو احوج إليها من النبي ص وآله لكن وفقاً لآيات قرآنية أخرى فإن السكينة تتنزّل على النبي ص وآله وعلى المؤمنين فقط وليس على المنافقين بذلك فإنه إذا كان ذلك الصاحب هو ابوبكر فقد اثبتت هذه الآية القرآنية أنه منافق ولا يستحق السكينة. كما حاول الكهنوت أن يتلاعب على مساحات المعنى في القرآن والادعاء كذباً وزوراً توافق آيات القرآن مع ما كان عمر بن صهاك قد قاله وكان هدف الكهنوت من ذلك خَلْق مجداً عقلياً زائفاً وكاذباً لابن صهاك رغم أن ابن صهاك كان فاشلاً عقلياً وفقهياً بل ويهتف في كل وقت وحين قائلاً، "لو لا علي لهلك عمر" ورغم أن النبي ص وآله قال في ابن صهاك ومن كانوا معه أنهم لا عقل لهم وكان ذلك في يوم رزية الخميس. فكيف يتوافق التنزيل بعد ذلك مع من لا عقل له. بل وأن دليل غياب عقل ابن صهاك أنه حفظ سورة البقرة في اثني عشر سنة بينما طفل صغير يستطيع أن يحفظها في اقل من شهر! كما حاول الكهنوت التلاعب بمعنى "مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ" ليختلق لأصنامه فضيلة بينما هذه الآية القرآنية تذم الصحابة الذين أشاروا بغير ما قرر النبي ص وآله والدليل على ذلك أن هذه الآية القرآنية

نفسها تقول لاحقاً، "تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ" وهذا تعريض موجّه للصحابة الذين أشاروا بغير ما قرّر النبي ص وآله لان النبي ص وآله هو في طريق إرادة الله تعالى ولا يحيد عن تلك الإرادة الإلهية قيد أنملة والدليل على ذلك رفْض النبي ص وآله لكل عرض الدنيا التي حاولت قريش اغرائه به في بداية الدعوة ولكن ادعى الكهنوت السقيفي كذباً وزوراً أن تلك الآية القرآنية جاءت لتخلق فضيلة كاذبة ومزيفة لقطب من اقطاب السقيفة المنقلبين. وهكذا كان ديدن الكهنوت السقيفي اللعب على مساحات المعنى في القرآن وهي تلك المساحات التي يستطيع الكهنوت السقيفي التلاعب بها تفسيرياً وفقاً لمصلحة اصنام خَطّه السقيفي فأتحف الكهنوت المجتمع البهيمي القطيعي بثُلّة من الأكاذيب التي تحوِّر معاني القرآن إما لتشين صورة النبي ص وآله أو لتبهت العترة الاطهار عليهم السلام أو لتخلِق مجداً زائفاً لأصنامه السقيفية السامرية المنقلبة وفي هذا السياق فإن آيات سورة عبس ليست استثناء في ذلك وهي واحدة من تلك السُوَر التي استغلها الكهنوت، بعد أن دفن الآثار التاريخية التي تكشف الحقيقة، ليصطنع معاني من عنده من أجل أن يحمي اصنامه السقيفية المنقلبة ويرمي تهمة العبس والتولّي على النبي ص وآله والنبي ص وآله منها براء. وكل صاحب عقل يعلم أن الكهنوت السقيفي الاموي الناصبي، من اجل أن يبرئ اصنامه السقيفية السامرية، مستعد أن يشوه صورة النبي ص وآله الالهية ويرمي عليه كل تهمة أو عيب من عيوب اصنام السقيفة.

إن العبوس والتولّي المذكور في سورة عبس ليس من شِيَم الانبياء ولا يمكن لنبي من انبياء الله تعالى أن يعبس في وجه أحد أو يتولّى عنه وفقاً للمعنى القرآني السلبي للتولّي والذي نجده في كثير من الآيات القرآنية مثل، "وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ". ومن يدّعي غير ذلك فإنما

يرتكب بهتاناً عظيماً ضد انبياء الله تعالى. وعليه فإن سورة عبس التي تحمل ادانة وذم إلهي قوي لمرتكب العبوس والتولِّي لم تنزل أبداً في النبي ص وآله كما يدّعي الكهنوت السقيفي الاموي الناصبي ولا يمكن أن تكون قد نزلت في النبي ص وآله وفقاً للنصوص القرآنية التي لا تناقض نفسها أبداً ووفقاً لأقوال علماء من يدَّعون أنهم أهل سنة وجماعة إلا إذا كانت سُنّتهم هذه هي سُنّة السقيفة وبني امية الناصبية والتي كانت، وبكل وقاحة، لا تتورع في اختلاق المشينات والمعيبات في حق النبي ص وآله. بل إن الإدانة والذم في سورة عبس قد نزلت في حق عثمان بن عفان كما سنرى ذلك ونثبته قرآنياً وعقلياً ونقلياً. فالدلائل على ذلك واضحة وكثيرة وسياق هذا البحث سيوضح هذا الامر بطريقة جلية ولا مجال للكهنوت، في وجود أصحاب العقول، أن يتلاعب في مثل مساحات المعنى القرآني هذه إلا إذا كان الهدف من تلاعُبه الاخرق مخاطبة الرعاع والبلهاء من أمثاله. أما مع أصحاب العقول المتدبِّرة فلا مجال لذلك.

وفي هذا السياق، فإن كل صاحب عقل يستغرب على اصرار الكهنوت السقيفي الاموي الناصبي على تبرئة عثمان بن عفان من الإدانة والذم الذي نزل فيه في سورة عبس ورمي تلك الإدانة والذم على النبي ص وآله المعصوم والممدوح في القرآن من خلال آيات قرآنية كثيرة ولا حصر لها. فما قيمة عثمان بن عفان للدفاع عنه بهذه الوقاحة ورمي التهمة، بكل جرأة سمجة، على النبي ص وآله؟ أليس عثمان بن عفان هو من انحدر بالأمة الإسلامية إلى قاع الاجندة السقيفية حتى أهلك الحرث والنسل وهلك؟ ألا يعلم الكهنوت أن كبار الصحابة وبينهم صحابة اتقياء ومؤمنون من أمثال عمرو بن الحمق الخزاعي قد قتلوا عثمان بن عفان شر قتلة ورموه على المزبلة لثلاثة أيام حتى خاس وتعفن؟ فلماذا محاولة تبرئة عثمان بن عفان من جريمة العبس والتولّي المذكورة في سورة

عبس؟ فإذا كان ذلك الذم وتلك الإدانة الموجهة إلى عثمان بن عفان في سورة عبس منقصةً وتسقيطاً لعثمان بن عفان، فكيف يحاول الكهنوت، وبكل جرأة سمجة ووقحة، أن يحمي عثمان بن عفان من ذلك الذم والادانة ويوجههما تجاه النبي ص وآله؟ أية وقاحة وجرأة سمجة هذه؟ فبهذا السلوك الكهنوتي المشين والوقح فإن الكهنوت يوضح طبيعته السقيفية الاموية الناصبية التي دأبت، دائماً، على تسقيط أهل الحق واشانة صورتهم وكسف فضائلهم ومن ثم رفع أهل الباطل وتنزيههم من سقطاتهم وانحطاطهم الواضح. ونتيجة لهذا التجنِّي على النبي ص وآله، خير الخلق، فقد سمم الكهنوت عبر العصور عقول الناس بهذه الاكذوبة التي تشوه صورة النبي ص وآله من اجل أن يحمي الكهنوت صنمه الاموي السقيفي النذل؛ الجيفة عثمان بن عفان.

إن ادعاء نزول سورة عبس في النبي ص وآله ليس مقبولاً لا عقلاً ولا نقلاً. حيث أن العبس في وجه المؤمن الذي جاء يطلب حاجة إلهية لهو اخلاق سيئة لا يمكن أن يقع فيها النبي ص وآله لمنافات ذلك للثابت والقطعي عن عظمة وسمو اخلاقه وعلو مقامه الالهي. كما أن التولّي عن المؤمن الذي يطلب تزكية دينية لهو اخلاق سيئة وأن هذه الاخلاق السيئة لا يمكن أن يقع فيها النبي ص وآله لمنافات ذلك للثابت والقطعي عن عظمة وسمو اخلاقه وعلو مقامه الالهي. وعليه فإن الادانة الالهية في سورة عبس لا يمكن أن تكون موجهة إلى النبي ص وآله الذي وصفه القرآن نفسه بأنه على خلق عظيم وأنه على هدى واستقامة وحُلْم ولِيْن جانب وخلوٍ مطلقٍ من الفظاظة والغلظة. فمن كان كذلك فلا يمكن أن يعبس في وجه ضعيف يتزكى ولا أن يتولّى عنه أبداً. ألم يقل القرآن للنبي ص وآله، "وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ"؟ ألم يقل القرآن للنبي ص وآله، "إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُّسْتَقِيمٍ"؟ ألم يصف القرآن المستوى العالي

من لِين جانب النبي ص وآله وخلوّه من أية فظاظة أو غلظة عندما قال له، "فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ"؟ فهذه الآيات القرآنية، والتي أتينا بها على سبيل المثال وليس الحصر، ترفع خُلُق النبي ص وآله إلى أعلى عليين وتمجّد استقامته وهداه ولِين جانبه وحلمه وتنزهه الكامل والمطلق عن الغِلظة والفظاظة. بينما أن صفة العبس في وجوه الناس هي مظهر من مظاهر سيادة الغلظة وترسُّخ الفظاظة وغياب الرحمة وانعدام اللِّين وجفاف منابع الحُلْم في قلب فاعله وهذا لا يمكن أن يصدر عن نبي أبداً ناهيك من أن يصدر عن خير الخلق؛ النبي محمد ص وآله. إذ كيف يصدُر العبس والتولي عن النبي ص وآله الذي هو على خُلُق عظيم وعلى هدى مستقيم وحِلْم ولِيّن الجانب؟ فالنبي ص وآله ومن منطلق صفته النبوية وشمائله الإلهية المعصومة لا يعبس في وجه شخص أبداً ناهيك أن يكون ذلك الشخص ضعيفاً وطالباً للعلم والمعرفة والتزكية. فهذا امر مستحيل جملةً وتفصيلاً. فقد أمر الله تعالى النبي ص وآله في القرآن قائلاً، "وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ" كما امره القرآن قائلاً، "وَلاَ تَطْرُدْ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنْ الظَّالِمِينَ". وهناك اوامر قرآنية كثيرة من هذا القبيل موجهة للنبي ص وآله وقد تخلَّق بها النبي ص وآله والتزم بها التزاماً كاملاً وقد اقرّت عائشة نفسها، والتي كانت تدّبر ضده المكائد، بأنه، "كان خُلُقه القرآن." فوِفقاً للتمجيد والمدح القرآني للنبي ص وآله، كما رأينا في الآيات القرآنية اعلاها، فإنه إذا كانت ذلك الذم القادح وتلك الادانة العظيمة في سورة عبس موجهة للنبي ص وآله فهذا يعني أن القرآن، والعياذ بالله، يناقض نفسه وأن النبي

ص وآله، حاشاه، لا يتصف بما وصفه به القرآن ولا يلتزم بالأوامر القرآنية ولا يتخلق بالخُلُق القرآني الذي وصفه القرآن به وامره بالالتزام به من اجل تبليغ رسالات الله تعالى، وهذا محال في حق النبي ص وآله. فكيف يدعي شخص بعد ذلك أن الذم والادانة في سورة عبس قد نزلت في النبي ص وآله؛ الذي "كان خُلُقه القرآن"؟ فهذا ادعاء لا أساس له من الصحة ولا يستند لأبسط منطق ناهيك عن دحضه للمسلمات النصية القطعية في شأن الخُلُق الإلهي القرآني للنبي ص وآله.

فالعبس في وجه انسان يطلب العلم والمعرفة والتزكية لهو سلوك فظ وغليظ وخُلُق ذميم وغير قويم ولا يمكن أن يكون النبي ص وآله قد فعله وإلا فإن القرآن يكون مناقضاً لبعضه البعض والله تعالى نفى أن يكون الوحي مناقضاً لبعضه البعض كما تقول الآية القرآنية، "أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً". فالقرآن، وكما رأينا في أمثلة الآيات اعلاها، قد رفع النبي ص وآله إلى اعلى عليين ووصفه بأنه على خلق عظيم وهدَى واستقامة وحُلْم ولِين جانب وأنه خالٍ من الفظاظة والغلظة. وعليه فإنه لا يمكن أن يأتي القرآن في موقع آخر ليدين نبي الدين بذلك الذم القادح وتلك الادانة القوية الموجودة في سورة عبس لأنه بذلك يكون القرآن قد جرّده من كل ذلك الخُلُق القرآني الذي مدحه به في الآيات اعلاها وآيات أخرى كثيرة لا حصر لها. ولذلك فإن سلوك العبس والتولّي لم يصدر أبداً عن النبي ص وآله وأن تلك الادانة وذلك الذم في سورة عبس لا يمكن أن يكون موجهاً للنبي ص وآله أبداً. إذ أن هذا لا يستقيم مع الاتساق القرآني وعدم مناقضة الآيات القرآنية لبعضها البعض. وعليه فإنه إذا سلّمنا بأن القرآن لا يناقِض نفسه أبداً فإن الأمر يكون واضحاً بأن العبوس والتولِّي المذكور في سورة عبس لم يصدر عن النبي ص وآله وأن الإدانة الموجودة في

سورة عبس لم تنزل في النبي ص وآله وإنما نزلت في شخص آخر وهو مرتكب للسلوك العبوس والتولي ويستحق بذلك تلك الإدانة القوية وذلك الذم القادح لأنه شخص متَّصِف بسوء الخُلُق والتكبُّر والعنجهية وقسوة الجانب وفظاظة السلوك وغلظة السجية ولا يمكن أن يكون ذلك هو النبي ص وآله لأن صِفة العبس في وجه الناس والتولّي عنهم لا تنسجم مع صفات الانبياء بصفة عامة وصفات النبي ص وآله بشكل خاص لأن خُلُقه عظيم وقرآني وعلى هدى واستقامة وحلم ولين جانب وخال من الغلظة والفظاظة بل تنسجم صفة العبس في وجوه الآخرين والتولّي عنهم مع شخص مثل عثمان بن عفان الذي كان يتَّصِف بسوء الخُلُق وقسوة الجانب وفظاظة النزعة وغِلظة القلب وتكبّر الشخصية وعنجهية السلوك وإلا فإنه إذا ادعينا أن سورة عبس قد نزلت في النبي ص وآله فإن معايير التقييم القرآنية ستختل وتتناقض بشكل صارخ ولا يمكن بعد ذلك أن نستخلص من القرآن استنتاجا يصنف الناس تصنيفاً معيارياً ثابتا.
فالأنبياء عليهم السلام منزَّهون عن العبوس في وجوه الناس أو التولّي عنهم وأن النبي ص وآله ليس بدعاً من الرسل ولا يختلف عنهم في اطر الاخلاق الرفيعة والسلوك السامي. حيث يؤكد القرآن ذلك بقوله، "قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنْ الرُّسُلِ". فإذا كان خُلُق النبي ص وآله لا يختلف عن البناء الاخلاقي الذي يميز الرسُل والذي بالتأكيد يكون رفيعاً وسماوياً وإلهياً فما بال النبي ص وآله الذي خصّه القرآن بالآيات التمجيدية التي وصفت سمو وعظمة خُلُقه وأنه على هدى واستقامة وحُلم ولِين جانب وخالٍ من الفظاظة والغلظة؟ وبذلك فإن النبي ص وآله لن يكون مختلفاً عن النبي عيسى بن مريم عليه السلام الذي يستقبل الاعمى ويشفيه بإذن الله تعالى وكذلك فإن النبي ص وآله الرؤوف والذي ارسله الله تعالى رحمه للعالمين كما تقول الآية القرآنية، "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ" لا يمكن إلا

أن يحيط الناس بصفة عامة والضعفاء وذوي الاحتياجات الخاصة بصفة خاصة، بكامل الرعاية والاهتمام والشفقة والرحمة وخفْض الجناح واللّين والصبر والحلم لأنه مأمور بأن يخفِض جناحه للمؤمنين وأن يكون لَيّن الجانب تجاه من اتّبعه من المؤمنين كما تقول الآية القرآنية، "وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ" وبالتأكيد فإن النبي ص وآله كان كذلك ويتَّبِع ما أُوحِي إليه وفقاً للآية القرآنية التي تقول، "إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ" ولا يمكن إلا أن يكون النبي ص وآله متّبعاً ما يُوحَى إليه ومُنفِّذاً له بكل دقة والتزام وبذلك فإنه كان حليماً ورحيماً ولِين الجانب وصبوراً وسامي الاخلاق. كما أن ذلك الامر القرآني بخفض الجناح لا يمكن أن يأتي معه بعد ذلك أي عبوس في وجه أحد على الاطلاق ولا تولِّي عنه وإلا فإن النبي ص وآله، وحاشاه أن يفعل ذلك، يكون قد انتهك امر هذه الآية القرآنية ولا يجب على مؤمن حقيقي أن يخطر في باله شيئاً من هذا البهتان العظيم.

إن ذلك الاعمى في سورة عبس، عبد الله ابن ام مكتوم، كان باحثاً عن التزكية والعلم ولا يمكن للنبي ص وآله إلا أن يفعل معه وفقاً لما امره به القرآن؛ أن يخفض جناحه لمن اتبعه وأن يصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه وألا يشيح وجهه عنهم. وبالفعل فقد كان النبي ص وآله يهتم بهم اهتماماً كاملاً ويحيطهم بكامل الرعاية وهو مثل بقية الأنبياء عليهم السلام لا يطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه وكان يبلغ رسالات الله تعالى لكل الناس بمختلف ظروفهم وأحوالهم. وقد كان النبي ص وآله كذلك مع عبد الله ابن ام مكتوم لأن النبي ص وآله كان مجسِّداً للمعايير الالهية في تبليغ الدعوة وكان على خُلُق عظيم ورحمة وعلى هدى واستقامة ولين جانب وخال من الفظاظة والغلظة. بكلمة اخرى، فإن العبوس والتولِّي المذكور في سورة عبس لم يصدرا

أبداً من النبي ص وآله وبذلك فإن الادانة المُنزَلَة في سورة عبس ليست موجهة للنبي ص وآله الرؤوف الذي يتَّصِف بعظمة الخُلُق والهُدى والاستقامة والحُلْم ولِين الجانب. فالقرآن، كما قلنا سابقاً، لا يناقض بعضه البعض أبداً. وبذلك فإن على الانسان المتدبر لآيات الله تعالى أن يجعل آيات مدح النبي ص وآله هو الحُكْم القرآني الخالد في النبي ص وآله وبذلك ينزِّهه من الادعاء الكهنوتي السقيفي الاموي الناصبي الذي يقول ان سورة عبس نزلت فيه لأن مثل هذا الادعاء الكهنوتي الناصبي لا يستقيم مع التمجيد والتزكية الالهية القرآنية له. وعليه فإن الادانة في سورة عبس قد نزلت في شخص آخر. حيث تقول بعض التفاسير بأنه أحدٌ من بني أمية وتقول تفاسير أخرى أنه هو عثمان بن عفان كما سنرى ذلك. وأياً كان الشخص: أمويا أو عثمان بن عفان، فإن المهمة الأساسية للعقل المؤمن الحقيقي هي أن ينزِّه النبي ص وآله من العبس والتولِّي ويدحض من يدعي ذلك ويكون هذا الدحض من خلال البحث والتحقيق والاثبات بطريقة علمية ومنطقية كما نفعل نحن هنا ليؤكد أن تلك السورة قد نزلت في شخص آخر وليس النبي ص وآله. وفي هذا السياق فإن القرآن يفسِّر بعضه بعضاً كما سنرى ويُبعِد تلك الادانة عن النبي ص وآله. كما أن هناك ادلة من جانب بعض علماء الخط السقيفي تنفي نزول هذه الآيات في النبي ص وآله نفياً قاطعا. ولكن للأسف فإن مشكلة غالبية الناس أنهم قد تركوا تدبُّر القرآن والتمعُّن في معانيه والدلْف في التحقيق العلمي التاريخي بطريقة معرفية ومتدبِّرة وتحوَّلوا إلى قطيع وسلّموا عقولهم لكهنوت سقيفي اموي ناصبي ليس هدفه سوى ضرب رموز الدين الاطهار والمعصومين وهدم بل ودفن مقامهم الالهي من اجل حماية الاصنام السقيفية السامرية الاموية المنقلبة على الدين فصدَّق الرعاع والحمير والبغال الكهنوت فأصبحت علاقة الجمهور بالكهنوت

كعلاقة المهر بالحصان؛ يجري بانسياب إلى جانب الحصان من دون السؤال عن وجهة ذلك الحصان. بكلمة أخرى، فقد حوّل الكهنوت الناس إلى مخلوقات قاصِرة العقل لا تسأل عن الحقيقة ولا تحقق ولا تبحث بل تم تحويلهم إلى معاتيه تبتلع كل ما يرمى إليها وتصدِّق الأكاذيب وتثور عندما تسمع شخصاً يعيب احداً الصحابة ولكن إذا تم تلبيس ذلك العيب على النبي ص وآله فإنهم يستسهلون ذلك الامر استسهالا عجيباً وهذا نابع عن تصنيمهم لمن يسمونهم الصحابة وعدم تدبُّرهم في القرآن ومعانيه ومقاصده واشاراته وعدم معرفتهم بالنبي ص وآله والفهم المغلوط الذي يحملونه عن النبوة والنبي ص وآله والذي تم حشره في عقولهم من جيل إلى جيل.

وعليه فيجب أن يكون همّنا الاول تنزيه ساحة النبوة من كل المشينان والمعيبات التي تم إلصاقها بها عبر التاريخ. فواحدة من تلك المعيبات والمشينات هي الادعاء الكاذب أن سورة عبس نزلت في النبي ص وآله. وهذا لا يجب أن يصدِّقه عاقل ذو مُسكة من عقل ويحترم عقله ويعرف كيف يتدبر القرآن. لأنه حتى إذا لم يصف القرآن خُلُق النبي ص واله بأنه "عظيم" واكتفي بالقول إن النبي ص وآله علَى "خُلُق" فقط فإن هذا لدليل كافٍ لإثبات أنه من المستحيل أن يعبس النبي ص وآله في وجه أحد أو أن يتولّى عنه. فكيف يفعل النبي ص وآله ذلك وقد وصفه القرآن بأنه رؤوف رحيم ولَيِّن الجانب وأنه ليس فظاً ولا غليظاً وقد أرسله الله تعالى رحمه للعالمين؟ إن كل ذلك يجعلنا نستنتج حقيقة أنه من المستحيل أن يكون من عبس وتولّى هو النبي ص وآله وأنه من المستحيل أن تكون الإدانة التي في سورة عبس قد نزلت في النبي ص وآله ونخلُص إلى أن من ارتكب فعل العبس والتولِّي هو شخص آخر وأن تلك الإدانة قد نزلت في حق ذلك الشخص وذلك الشخص لم يكن أحداً سوى عثمان بن عفان البرجوازي المستكبر والذي نظرته

للناس نظرة برجوازية وتهميشية ولذلك من الطبيعي أن ينتج عبساً في كل وجه وتولِّياً عن كل الخَلْق. وهذا استنتاج يجب أن يصل إليه كل عقلٍ عاقلٍ ومتدبر وباحث بشكل علمي ومنطقي. فليس هناك ابهام في السورة يحول دون معرفة هذه الحقيقة بل إن الحقيقة كانت موجودة قبل ذلك في كتب التراث إلا أن اهل السلطة قد ازالوها عن التراث ودفنوها كما ازالوا ودفنوا ادانات نبوية لأقطاب السقيفة وهذا هو الذي جَعَل الناس تختلف مع بعضها البعض حتى يقضي الله تعالى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون. وإنه لشرفٌ لنا أن نكون نحن مع الفئة التي تُنزِّه النبي ص وآله من كل عيب وشين ولا ضير أن يكون من عبس وتولّى هو أحد الامويين أو عثمان بن عفان نفسه رغم أن كل الدلائل تشير إلى أنه كان هو عثمان بن عفان ولا أحد غيره.

فحيثيات حادثة العبس والتولِّي هي أنه كان النبي ص وآله جالساً في مجلسٍ وكان عثمان بن عفان فيه فجاء عبدالله ابن ام مكتوم، وهو رجل فقير واعمى، يسأل ويستفسر عن الدين فاستقبله النبي ص وآله بكل عناية واهتم به كل اهتمام. إلا أن عثمان بن عفان عبس في وجه الاعمى الفقير وتقزز منه وتولّى عنه ونتيجة لذلك نزلت تلك السورة التي تُدين عثمان بن عفان على فعلته الشنيعة تلك. وما كانت هذه السورة لتنزل لو لا تكرُّر مثل هذا السلوك من عثمان بن عفان مع آخرين كما هو في حالة ردة فعله من نقد عمار بن ياسر لتصرُّف عثمان بن عفان المستكبر في حادثة بناء المسجد النبوي. فالتاريخ المُستَقصي لشخصية عثمان بن عفان يثبت أنّ خُلُق العبس والتولِّي والتنطُّع والعنجهية والاستكبار في مواقع كثيرة هي خُلُق عثمان بن عفان الذي كان مسيئاً للآخرين ومتعجرفاً ومتعالياً ومتكبراً عليهم ولا يطيق إلا نفسه ولا يرى قيمة للآخرين أبداً ولذلك نزلت هذه السورة واتخذت عبوس عثمان بن عفان في

وجه متزكٍ وتولّيه عنه للتنديد به ويشير هذا التناول القرآني لهذه الحادثة أن السلوك العابس والمتولِّي والمستكبر والمتنطِّع هو جزء لا يتجزأ من شخصية عثمان بن عفان ويعاني منه بشكل مزمِن.

إن الدليل الذي يؤكد أن سورة عبس قد نزلت في عثمان بن عفان أن الآيتان الأولتان منها تصف، بشكل واضح، من الذي ارتكب فعل العبوس والتولِّي ولغة الآيتين توضح أنها لا تتّهم النبي ص وآله بل تصِف حال وتصرُف شخص آخر كان موجوداً في المكان. وعليه فإن الآيات التالية لتلك الآيتين أيضاً لا تخاطب النبي ص وآله وإنما تخاطب من ارتكب الفعل المذموم والمشار إليه في الآيتين في مطلع سورة عبس ويعطي خطاب تلك الآيات درساً أخلاقيا خالداً ليتجنب الناس مثل هذا السلوك بينما النبي ص وآله موصوف أصلاً بأنه على خلق عظيم. ولذلك فإن الخطاب الذي يبدوا وكأنه موجه للنبي ص وآله ليس موجه إليه بل قائم على منطق، "إيّاك أعني فاسمعي يا جارة". حيث يبدو وكأن تلك الآيات تخاطب النبي ص وآله لكنها لا تخاطب النبي ص وآله وإنما تخاطب مرتكب الاثم وهذا نهج تناوُل معروف في القرآن كما هو في الآية القرآنية التي تقول، "وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ". فهذه الآية القرآنية لا تقصد النبي ص وآله رغم أنها تبدو وكأنها تخاطب النبي ص وآله وإنما تقصد عموم الناس وتحذرهم وتنذرهم من الشرك وحبوط الاعمال. ومعروف أن هذا المنطق يستعمله القرآن من اجل توجيه رسالة إلى عامة الناس بالرغم من أن الآيات القرآنية قد تبدو وكأنها تخاطب الانبياء عليهم السلام ولكنها لا تفعل ذلك لأن الأنبياء عليهم السلام معصومون. فهذا نهج مخاطبة قرآني متكرِّر ومن لا يفهم ذلك النهج بطريقة صحيحة فإنه يهدم مقام وعصمة النبوة عبر التاريخ.

تقول الآيتان الأولتان، "عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى" وبذلك فهما من الآيات الإخبارية التي تتحدث عن سلوك شخص آخر وليس النبي ص وآله. وتصِف لنا ذلك السلوك المذموم الذي صدر عن ذلك الشخص. فاذا كانت هاتين الآيتين تتحدثان عن النبي ص وآله لافتتحتا معانيهما بصيغة المخاطبة للنبي ص وآله مباشرة وامثلة ذلك كثيرة في القرآن ولكنها لم تفعل ذلك. وبعد أن وضّحت الآيتان الأولتان أنّ المقصود ليس النبي ص وآله فإن الآيات التالية قد جاءت، كما قلنا سابقاً، على أساس النهج القرآني في مخاطبة الناس والقائم على منطق، "اياك أعني فاسمعي يا جارة". حيث تقول تلك الآيات القرآنية، "وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى * أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى * وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى" فهذه الآيات القرآنية هي ادانة لعثمان بن عفان مرتكب الإثم وتِبْيان لعامة الناس وتحذير لهم من التعامل مع الناس بأسلوب انطباعي وعنجهي وطبقي وتبيِّن تلك الآيات القرآنية بأن قيمة أمثال عبدالله ابن ام مكتوب في كل مجتمع وحين وهو يمثل طالبي الحق والتزكية والسعي بخشية من اجل الذكرى وأن العبس في وجوه أمثال هؤلاء والتولِّي عنهم لهو سلوك غير أخلاقي. حيث تتحدث هذه الآيات القرآنية عن اهمية التمسك بالقيم الدينية ووضْعها فوق كل الاعتبارات الشخصية؛ انطباعية كانت أو الطبقية أو غيرها. وهذا يوضِّح أنّ ذلك السلوك غير الاخلاقي قد صَدَر عن شخص كان في مجلس النبي ص وآله عند دخول عبدالله بن أم مكتوم الذي اهتم به النبي ص وآله واحاطه بالرعاية والاهتمام بينما عبس ذلك الشخص، الذي كان في المجلس، في وجه عبدالله ابن ام مكتوم وتقزز منه وتولّى عنه وهذا دليل أن ذلك الشخص العابس والمتولِّي كان يعاني من خلل في اخلاقه وتركيبته النفسية ولا يريد شخصا

من أمثال عبدالله بن ام مكتوم في مجلس هو فيه بل يريد ان تَنصَب كل الاهتمامات عليه حتى ولو كان هناك من هو أولى منه بالعناية والرعاية والاهتمام النبوي ولا يمكن أن ينتج مثل هذا السلوك المشين شخص ذو خلق عظيم كالنبي ص وآله ولذلك فإن عثمان بن عفان هو الذي عبس في وجه من اهتم به النبي ص وآله واعطاه الاولوية في الرعاية وقضاء الحاجة. وهذه الحادثة توضح لنا عالَمين يتجلى فيهما الفرق الشاسع بين شخصية عبد الله ابن ام مكتوم وشخصية عثمان بن عفان. فعبد الله ابن ام مكتوم يمثل عالَماً جاء مستغنياً عن ملهيات الدنيا ليتزكى وينتفِع من الذكرى ويسعى للعلم والخِشية بينما كان عثمان بن عفان يمثل ذلك العالم المتنطِّع والعنجهي البرجوازي ولذلك تقزز من عبدالله ابن ام مكتوم وعبس في وجهه وتولّى عنه لأن عثمان بن عفان لم يكن يدرك القيمة الدينية لما جاء من اجله عبدالله ابن ام مكتوم ولذلك تلهّى عنه لأن عثمان بن عفان كان هدفه أن يستحوذ ويحتكر الاهتمام حتى في مجلس النبي ص وآله وكل ذلك ينُم عن شخصية عثمان بن عفان السقيفية المريضة والتي عانى منها ليس فقط عبدالله بن ام مكتوم بل عانت منها الامة في السابق ويعاني الناس من آثارها إلى اليوم. فهذه هي حيثيات واقعة سورة عبس وهذا يوضح أن سلوك عثمان بن عفان المذموم هو الذي انتقدته الآيات القرآنية في سورة عبس ولا يمكن أن يصدر ذلك السلوك عن النبي ص وآله كما يدّعي الكهنوت السقيفي الاموي الناصبي. لأننا إذا صدّقنا الكهنوت السقيفي الاموي الناصبي في ادعاءه المتخرِّص بأن ذلك السلوك قد صدر عن النبي ص وآله فإننا نكون قد هدمنا التمجيد القرآني للنبي ص وآله الذي أكد بأنه ذو خُلُق عظيم ورؤوف ورحيم ولَيِّن الجانب وهذه الصفات السامية والالهية هي صفات مُطْلَقة وثابتة في النبي ص وآله ولا تخضع للتأرجح. إن العبس في وجه طالب الحق والتولّي عنه لهو

سلوك مناقض للقيم الرفيعة وحاشا أن يقع النبي ص وآله في مثل ذلك السلوك وهو المُنزّه قرآنياً والمعصوم إلهيا.

إن العبس في وجوه الناس والتولِّي عنهم وتهميشهم وعدم النظر في حاجاتهم صفات من السهل أن ينتجها عثمان بن عفان البرجوازي والأناني وهي ظاهرة ازلية وموجودة في كل الازمان وقد حرص القرآن على تناولها في تلك الحادثة وفقاً لمنطق، "اياك أعني فاسمعي يا جارة" حتى تكون رسالة ودرساً خالداً لكل المجتمعات البشرية التي تعاني إلى اليوم من تهميش الفقراء حتى ولو كانوا مؤمنين ورفع مقام الأغنياء حتى ولو كانوا نعاثِل ومجرمين. فسلوك عثمان بن عفان في تلك الحادثة يعكس بحثه عن مقام لا يستحقه واهتمام لا يتناسب مع نزعاته الطبقية والعرقية المسيطرة عليه. كما أن سلوك عثمان بن عفان تجاه من جاء باحثاً عن التوعية الدينية يعكس انشغال البرجوازية المدبِرة والمستكبِرة في كل زمان ومكان بأمور انصرافيه لا تعطي مكانةً أو اهميةً أو قيمةً أو وزناً للتزكية والانتفاع من الذكرى والسعي للعلم والخشية والاستغناء عن ملهيات الدنيا واهتماماتها المادية الصِرفة. فكل تلك الانشغالات البرجوازية حتما ستنتج عبوساً وتجهُّماً وفظاظةً وغِلْظةً تجاه الآخرين وتولِّياً عنهم ولا يزال كل ذلك موجوداً في المجتمع على مر العصور ويساهم مساهمة كبيرة في معاناة المجتمعات وخلق المشاكل لها ولذلك نبه القرآن الناس بتناول ذلك السلوك غير المقبول وتحذِّر الناس من الوقوع في مثله. فممن تعاني الغالبية الفقيرة اليوم سِوَى من الطبقية العابسة والمتجهِّمة والفظَّة والغليظة والماصّة لدماء الناس والمتولِّيَة عنهم؟ ومن الذي يصنع التهميش والاقصاء سِوَى الطبقية العابسة والمتجهِّمة والفظَّة والغليظة والماصّة لدماء الناس والمتولِّيَة عنهم؟ لذلك كان عبوس عثمان بن عفان في وجه عبدالله ابن ام مكتوم وتولِّيه عنه مناسبة مهمة ليبيِّن الله تعالى سلوكيات

الطبقية العابسة والمتجهمة والفظة والغليظة والماصّة لدماء الناس والمتولِّية عنهم عبر الازمان في مقابل الخاشعين الباحثين عن التزكية والساعين للالتزام بها والانتفاع من الذكرى والاستغناء عن ملهيات الدنيا واهتماماتها المادية اللاهية لأن الله تعالى كان يعلم أن هذا سلوكٌ منحرفٌ وراسخٌ في عثمان بن عفان وأنه سيستمر ليؤذي الامة في عهد عثمان بن عفان وتستمر آثاره عبر العصور والاجيال وسلوك كهذا كان كافياً بألا يدخل في ترشيح ليحكم الامة لكن للأسف فالسلطة المنحرفة لا تنتج سِوَى انحرافا. ففي سبيل مصادمة الايمان والتقوى والقيم الرفيعة والتديُّن فقد صادم عثمان بن عفان ليس فقط عبد الله ابن ام مكتوم بل أيضاً صادم كل من الامام علي عليه السلام واباذر الغفاري وعمار بن ياسر بل وصادم المجتمع برمته حتى ثار عليه المجتمع وقتله وكل ذلك يوضح أنه من الطبيعي أن يكون عثمان بن عفان من أكبر منتجي سلوك الطبقية العابسة والمتجهمة والفظّة والغليظة والماصّة لدماء الناس والمتولّية عن مصالح الناس في التاريخ الاسلامي.

فسلوك العبس في وجه الحق واهل الحق والتولِّي عنهم هو سلوك من لا يؤمنوا بآيات الله تعالى ولا يتأثروا بتعاليم القرآن بل هو سلوك من تمسّكوا بتركيبتهم النفسية الجاهلية المختلّة والتي هي مستعدّة أن تعبس في وجه كل شخص والتولِّي عنه من اجل المحافظة على المقام الجاهلي المُكتَسَب ومحاولة الاستحواذ على اهتمام الناس بل وحتى اهتمام النبي ص وآله إن استطاعوا ذلك من اجل أن يرتبوا لأنفسهم مقاماً طبقياً وسياسيا ليس فقط اثناء وجود النبي ص وآله بل أيضاً بعد رحيله وهذا ما كان يسعي إليه امثال عثمان بن عفان بشكل حثيث وتمكنوا من تحقيقه في اعقاب السقيفة المشؤومة. وهذه هي صفات المنافقين أو الكافرين كما تناولها القرآن في مواضع اخرى. والقرآن يفسّر بعضه بعضا. حيث توضح آيات

سورة المدثر أن الوليد بن المغيرة كافر ومعاند برجوازي نمطي وكان عثمان بن عفان على شاكلته وتنذر آيات سورة المدثر أمثال هؤلاء بيوم عسير وغير يسير. حيث تقول تلك الآيات القرآنية، "فذلك يومئذ يوم عسير * على الكافرين غير يسير * ذرني ومن خلقت وحيدا * وجعلت له مالا ممدودا * وبنين شهودا * ومهدت له تمهيدا * ثم يطمع ان ازيد * كلا انه كان لآياتنا عنيدا * سأرهقه صعودا * انه فكر وقدر". وتواصل الآيات القرآنية في وصف النوعية الطبقية الازلية المعاندة للحق والمتولية عنه، من امثال الوليد بن المغيرة، لتقول، "ثم نظر * ثم عبس وبسر * ثم ادبر واستكبر" وهكذا تعطينا هذه الآيات القرآنية خصائص تلك النوعية من البشر الذين يعبسون في وجه الدين واهل الدين والباحثين عن الدين ويتولُّون عنهم وهي خصائص بعيدة عن الخُلُق العظيم والرحمة ولِين الجانب بل متَّصِفة بالفظاظة والغلظة ولا يمكن أن ينتجها الانبياء بصفة عامة ونبينا محمد ص وآله بصفة خاصة بل ينتجها من يتصادمون مع الانبياء وتعاليمهم على مر العصور ويتولُّون عن الحق وأهل الحق ويسومون الناس سوء العذاب حتى يثور الناس عليهم ويقتلونهم ويرمونهم في المزابل وهذا ما حدث لعثمان بن عفان.

فبينما كان عبد الله بن ام مكتوم في آيات سورة عبس يمثل ذلك النوع من الخاشعين الذين يستغنون عن ملهيات الدنيا واهتماماتها المادية ويسعون لمعرفة دينهم وتزكية أنفسهم كان عثمان بن عفان يمثل ذلك النوع ممن يعبس ويتولّى ويدبِر ويستكبِر وفي ذلك تماثل بين عثمان بن عفان والوليد بن المغيرة كما رأينا ذلك في سورة المدثر. وفي هذا السياق، فإن وصف القرآن لعثمان بن عفان في سورة عبس لم يكن مختلفاً عن وصفه للوليد بن المغيرة في آيات سورة المدثر. ورغم أن عثمان بن عفان قد سمع بآيات سورة المدثر

التي تدين الوليد بن المغيرة إلا أنه لم يتّعظ بها بل وقع في نفس السقوط الاخلاقي للوليد بن المغيرة المستوجب للإدانة الالهية له فجاءت سورة عبس لتكامل الصورة النمطية لتلك النوعية من الناس الذين يعبسون في وجه الحق واهل الحق ويتولُّون عنهم ويستدبروا ويستكبروا ويتفرّغوا للجوانب المادية والمظهرية الدنيوية على حساب الخشوع والتمسُّك بالعمل الصالح والتزكية والسعي للانتفاع من الذكرى والاستغناء عن مُلهيات الدنيا واهتماماتها المادية الشاغلة عن كل قيم الدين العليا. وهكذا فقد ارتكب عثمان بن عفان نفس السلوك المشين للوليد بن المغيرة والذي عبس في وجه الدين ونبي الدين وأدبر واستكبر فنزلت تلك الآيات القرآنية تدينه ادانة خالدة وكذلك ادانت سورة عبس عبوس عثمان بن عفان في وجه الباحث عن الذِكرى وتولِّيه عنه واعطتنا تلك الآيات صورة نمطية بائسة عن السلوك البرجوازي تجاه ليس فقط الفقراء الذين لا يملكون مالاً ولكنهم يحملون تفرغاً لهموم الدين بل أيضاً تجاه الخاشعين الباحثين عن العمل الصالح والتزكية والحق والساعين للالتزام بكل ذلك والانتفاع من الذكرى والاستغناء عن مُلهَيات الدنيا واهتماماتها المادية البحتة.

وعليه فإن سورة المدثر وسورة عبس تعطي تحليلاً نفسياً عميقاً للتركيبة النفسية لمرضى النزعة الطبقية والبرجوازية الصادة للدين واهل الدين عبر الازمان. فالنبي ص وآله لم يكن برجوازياً ولا طبقياً بل لم تكن النار توقد في بيته لشهور من شدة الفقر. بل لقد جاءت دعوته الالهية لإزالة النزعة البرجوازية والطبقية التي تستتفه الناس ولا تشاركهم في شيء يقرّبهم إلى العبادة لله تعالى بل تهمّشهم وتُقصِيهم عن كل متطلبات الحياة، معيشية كانت أو دينية أو عقلية. وقد رأينا في عثمان بن عفان ذلك منذ وقت مبكر من الهجرة واستمر هذا السلوك المريض معه حتى النهاية البائسة لحياته. فبينما كان النبي ص وآله يحمل الحجر لبناء مسجده ويشاركه في ذلك عمار

بن ياسر كان عثمان بن عفان واقفاً بملابسه الفاخرة يتفرج فانتقده عمار بن ياسر على عدم مشاركته في جهد بناء المسجد فغضب عثمان بن عفان وبكل وقاحة وقلة ادب قال للنبي ص وآله، شاكياً عمار بن ياسر، انه لم يسلم لكي يُساء إليه. فقال النبي ص وآله لعثمان بن عفان، "قد اقلتك اسلامك فإن شئت فاذهب." وفي قوْل النبي ص وآله هذا لعثمان بن عفان غضباً من جانب النبي ص وآله تجاه عثمان بن عفان واستغناء من النبي ص وآله عن نوعية اسلام عثمان بن عفان وتزكية واضحة لموقف عمار بن ياسر واسلامه. وهكذا كانت نوعية ومعدن عثمان بن عفان وهكذا كان عثمان بن عفان منحدراً ومستكبراً ومتنطِّعاً وهكذا يتّضِح جلياً أن سلوك العبس والتولِّي أحرى أن ينتِجه من لا يشارك في بناء المسجد بل يقف متفرجاً ومحافظاً على نفسه وملابسه من غبار وعرق العبادة. وهكذا كان عثمان بن عفان نمطاً يجسِّد تلك النوعية من البشر التي تستحوذ على الثروة والسلطة وتتبنى ثقافة سمجة وقميئة ومنفصلة عن الحياة العامة بنشاطاتها واهتماماتها التعبدية والنفعية فكيف لن يعبس عثمان بن عفان في وجه عبد الله ابن ام مكتوم الذي جاء يسأل عن الدين ليتعلم ويتزكّى؟ فعثمان بن عفان لم يكن الدين الإسلامي جزءا من اهتماماته في الأصل بل كانت اهتماماته البرجوازية والسلطوية والطبقية في واد والدين الإسلامي في واد آخر. فكيف لن يعبس عثمان بن عفان في وجه رجل اعمى وفقير ويتولّى عنه؟

وقد وصلت تلك السلوكيات العثمانية العابسة ذروتها وتجلّت بشكل واضح في فتره عهده السقيفي القبلي الكئيب. حيث رأينا ذلك في تعامله العابس والتعذيبي مع اباذر الغفاري الذي وصفه النبي ص وآله قائلاً، "ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر". كما تجلت تلك السلوكيات العثمانية العبوسة

والتعذيبية مع عمار بن ياسر الذي قال فيه النبي ص وآله، "عمار جلدة بين عيني." وقال فيه أيضاً، "عمار ممتلئ بالإيمان" وفي رواية أخرى، "عمارا خُلِط الإيمان بلحمه ودمه. عمّار ما عُرِض عليه أمران إلا اختار الأرشد منهما." وقال النبي ص وآله عندما دخل عليه عمار بن ياسر، "مرحباً بالطيّب المطيب، إن عمّار بن ياسر حُشِي ما بين أخمص قدميه إلى شحمة أذنه إيماناً." وفي رواية أخرى، "إن عماراً مُلِيء إيماناً من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه." وقال فيه أيضاً، "إن الجنة لتشتاق إلى علي وعمار وسلمان." ومع ذلك كله لقي اباذر الغفاري وعمار بن ياسر ما لقياه من عثمان بن عفان من استكبار وعبس وتعذيب وعِقاب. فكيف لن يعبس عثمان بن عفان في وجه عبد الله ابن ام مكتوم ويتولّى عنه؟ فعثمان بن عفان هو الذي عبس في وجه الصحابي الجليل اباذر الغفاري ونفاه إلى الشام ثم ارجعه على جمل مسرع وغير مسرّج حتى تقطعت افخاذ اباذر الغفاري ثم بعد ذلك نفاه إلى صحراء الربذة ليموت هناك وحيدا. وعثمان بن عفان هو الذي استكبر وعبس في وجه عمار بن ياسر وسبّه بسِباب عنصري وشارك في ضربه على بطنه حتى تسبب في فتق في بطنه فظل عمار بن ياسر يعاني من ذلك الفتق حتى استشهاده بواسطة الفئة الباغية في صفين. وهو الذي استكبر وعبس في وجه عبد الله بن مسعود واساء إليه وسماه دُويبة سوء من تمشي على طعامها تقيء وتسلح وسلَّط عليه غلمانه ليضربوه ويكسروا ضلعه ويتسببوا في موته. وهو الذي استكبر وعبس في وجه عبد الرحمن بن عوف وأرسل إليه غلمانه يسومونه سوء المعاكسة حتى مات. فاذا كان هذا هو سلوك عثمان بن عفان الاستكباري العابس مع امثال اباذر الغفاري وعمار بن ياسر الاتقياء الانقياء فمن الطبيعي ان يعبس في وجه رجل اعمى ويتولّى عنه.

ومثل هذا السلوك العابس والبرجوازي والمتنطع هو الذي أوصل اجندة السقيفة في النهب والاستحواذ واهمال الناس في عهد عثمان بن عفان إلى ذروتها ووسع من دائرة الفقر الذي كان عليه امثال ذلك الاعمى بل وعمّم عثمان بن عفان الفقر ووزّعه بشكل واسع النطاق وبطريقة كيزانية لتتراكم انطباعات الناس وتثور ضده ثورة عارمة دقت مِشقصاً في نافوخ عثمان بن عفان واردته قتيلاً ورمته في المزبلة لثلاثة ايام حتى خاس فيها وتعفن وتعشت الكلاب بإحدى رجليه ليدفنوه في النهاية في مقابر اليهود في حش كوكب بعد أن رفض المسلمون الاعتراف ليس فقط بما تُسمَى خلافته بل أيضاً حتى بإسلامه برمته واصبح مصداقاً للقول الذي قيل فيه وهو "ثالث القوم نافجا حضنيه بين نثيله ومعتلفه" وقد قضى حياته هكذا. فهذا هو الذي في سورة عبس قد عبس في وجه الاعمى وتولّى عنه ليلحق بالوليد بن المغيرة المدان في سورة المدثر والذي عبس في وجه الدين ونبي الدين واهل الدين وأدبر واستكبر فوعده الله تعالى بيوم عسير وغير يسير وهكذا هو مصير عثمان بن عفان.

وبعد هذا التناول القرآني العقلي والمنطقي الذي يثبت أن من ارتكب سلوك العبس والتولِّي في سورة عبس هو عثمان بن عفان فإننا نضيف اقرارات جملة من علماء من يسمون أنفسهم اهل السُنة والتي لا تسلِّم بأن آيات سورة "عبس" قد نزلت في النبي ص وآله لأن سلوك "العبس والتولِّي" ليس من سلوك أو صفات النبي ص وآله بل وطعن اولئك العلماء في الدعايات القائلة بأن النبي ص وآله هو الذي عبس في وجه عبد الله ابن ام مكتوم وتولّى عنه. حيث دحض اولئك العلماء هذه الادعاءات لتكون أقوالهم برهاناً اضافياً نقلياً يبرئ ساحة النبوة من هذا البهتان العظيم. ومن اولئك العلماء، فخر الدين الرازي في كتابه "عصمة الانبياء" والذي يشير أن العبس والتولِّي يتنافى مع عصمة الانبياء. وفي فتح القدير فقد

قال الشوكاني قال ابن كثير أن القصة التي تدَّعي أن النبي ص وآله هو الذي عبس في وجه عبد الله ابن ام مكتوم وتولَّى عنه لهي قصة غريبة وهناك تلاعب في اسنادها. ويقول ابن كثير في هذا الادعاء برمته، "فيه غرابة، وقد تُكُلِّم في إسناده". وفي سُنَن الترمذي قال أبو عيسى، "هذا حديث غريب" واعترف الآلوسي في روح المعاني أنّ الضمير الغائب في عبس دالٌّ على أنّ من صَدَر عنه ذلك العبس والتولِّي هو شخص غير النبي صلّى الله عليه وآله لأنّه لا يصدر عن النبي ص وآله مثل ذلك. وكل هذه دلائل على أن من عبس كان عثمان بن عفان الكوز المتأسلم.

كما اعترف الشيخ السُّني يسري صبري أن العابس ليس النبي ص وآله لأن العبوس من أخلاق الكفار كما جاء في سورة المدثر عن الوليد بن المغيرة. وقال الشيخ السُّني محمد أبو زيد الفقيه أن العابس في سورة عبس يستحيل أن يكون النبي ص وآله. وجزى الله هذين الشيخين على اعترافهما بأن العابس لا يمكن أن يكون هو النبي ص وآله ولكن للأسف فإن مشكلتهما أنهما لم يمتلكا الجرأة في أن يقولا إن العابس هو عثمان بن عفان فوجّها تلك التُهمة إلى الوليد بن المغيرة المُدان في سورة المدثر بينما أن الوليد بن المغيرة كان في مكة ولم يجتمع أبداً بعبد الله ابن ام مكتوم الذي كان في المدينة.

كما أن هناك اثراً إضافياً يؤكد أن سلوك العُبوس في وجه الضعفاء واصحاب الحاجات والتولّي عنهم وعدم النظر في حاجاتهم لهو سلوك مترسِّخ في عثمان بن عفان وصابِغ لشخصيته حتى بعد أن أصبح حاكماً. فهذا هو السلوك الذي فجّر ثورة ضده واهلكته وحولته إلى جيفة ملقية على مزبلة لثلاثة أيام. فعثمان بن عفان كان أثناء حكمه لا يلتفت للسائل ولا يسمح له بالدخول عليه ووصل الأمر بسائل أن يصلّي ركعتين ويتوسّل بالنبي ص وآله من اجل

أن يدخل على عثمان بن عفان. ففي رواية للطبراني أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان في حاجة له، ولكن كان عثمان بن عفان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقِيَ ذلك الرجل عثمان بن حنيف فشكا إليه ما وجده من عثمان بن عفان. فنصحه عثمان بن حنيف بأن يتوضأ ويذهب إلى المسجد ويقول "اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي فيقضي حاجتي" ونصحه بأن يذكر حاجته ثم يأتي إليه ليذهب معه إلى عثمان بن عفان. فانطلق الرجل فصنع ما قال له عثمان بن حنيف ثم أتيا باب عثمان بن عفان، فجاء البوّاب حتى أخذ بيد الرجل فأدخله على عثمان بن عفان فقال له الاخير "ما حاجتك؟" فذكر له حاجته فقضاها له. وهذا يوضح معاناة امة كامِلة في عهود الحكم السقيفي الاموي الذي رسّخ الطبقية والبرجوازية التي تعبَس في وجه الطبقات الضعيفة وتتولَّى عنهم وتهتم فقط بالحاشية الغنية وتورِّث بذلك الناس الفقر المادي والديني والعقلي. ولذلك تناولت سورة عبس هذه القضية تناولاً يخاطب الناس عامة على مر العصور من خطورة شخصيات من امثال عثمان بن عفان تشهدها المجتمعات في كل الازمان. وعليه فإن كل الدلائل تشير إلى أن العابس في وجه عبد الله ابن ام مكتوم والمتولِّي عنه كان هو عثمان بن عفان.